مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص٨٨٥- ص٩٠٣ يونيو ٢٠١٠
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

التحليل البياني

لأبلغ آية في كتاب الله

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {هود:٤٤}

أ.د. نعمان شعبان علوان

أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

ملخص: أعجز القرآن العرب منذ اللحظة الأولى لتنزله ، فوقفوا أمامه مبهورين ، لا يدرون ماذا يقولون. فتارة يقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، وتارة يقولون: ما هو بكلام الإنس ولا بكلام الجن ، وتارة يقولون: إنه سحر يؤثر ، إلى أن قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا فتحداهم القرآن الكـــريم رداً على مقولتهم إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بمثله، فما الذي أعجزهم ؟

إنه النظم القرآني المعجز الذي جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من تشريع ، وقصص ، وأخبار غيبية ، ونحن إذ نقف أمام آيـــة من كتاب الله تظهر لنا حقيقة البيان القرآني المعجز.

Stylistic Analysis of the Most Challenging Verse in the Holy Quran

Abstract: From day one, the Holy Quran challenges the Arabs linguistically. They were known of mastering Arabic language but they were astonished to hear the verses of the Holy Quran. Sometimes, they said that they never heard as such before; other times they claimed it is not the words of man or Jin; sometimes saying it is magic. Then they claimed they can write something similar. At this point, the Quran challenges the people to produce a Surah like it.

The Quran is considered a linguistic challenge to the Arabs and mankind. It tackles many topics with a miraculous style. In this paper, the researcher examines, stylistically, the most challenging verse in the Holy Quran.

(أبلغ آية في كتاب الله)

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {هود:٤٤}.

القرآن الكريم كتـــاب الله المعجـــز الذي تحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله في البيان فعجزوا مع كونهم أهل بلاغة وبيان ، ولم يسجل لهم التاريخ شيئاً سوى عجزهم وحيرتهم.

إنه القرآن الكريم، وإنها آياته التي نُظمت بدقة متناهية ، فكل كلمة وقعت في مكانها المناسب لها ، ولو غيرنا أو بدلنا أو قدمنا أو أخرنا في النظم القرآني، أو أدخلنا شيئاً من كلامنا إلى كتاب الله لاختل نظامه واعتل مذاقه في عقول سامعيه لأننا لو نظرنا في لسان العرب كله على أن نجد كلمة تنوب عن كلمة في كتاب الله فلم نجد ، إنه الإعجاز الذي يكمن في أسلوبه وبلاغته وبيانه ، بل في صميم النسق القرآني ذاته.

وإن أروع وصف للقرآن يُظهر بلاغته ودقة نظمه يتمثل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "هو الفصلُ ليس بالهزلِ ، مَنْ تركه من جبارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، هو حبلُ الله المتيـــن ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراطُ المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبعُ منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم ينته الجنُّ إذ سمعوه حتى قالوا: **[قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...]** {الجنّ: ١-٢} ، مَنْ قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومَنْ حكم به عَدَلْ ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم" [(١)].

وقد شُغِلَ العرب به منذ أن هبط به الوحي ، واستمع إليه الناس ، وأسرع الباحثون للبحث في سبب إعجازه ، ورأوا أن ذلك يرجع إلـــى ما فيه من بلاغةٍ ساحرةٍ ، وأسلوب فريد ، وتأثير عميق ، وخاصة أن الذين خاطبهم القرآن لم يعجبوا بشيء قدر إعجابهم بحسن البيان وبلاغة القول ، وقد رأوا في القول نوعاً من البيان لم يعرفوه من قبل فانجذبوا إليه ، واعترفوا بتأثيره ، وخروا صاغرين أمام بلاغته وحلاوته ، فكل كلمة من كلمات القرآن لها وقعها الخاص في نفوس المستمعين ، وكل عبارة تجتمع في كلمات لها صورة رائعة تصور المعانـــي بصـــورة كاملة ، وأجزاؤها تُعطي صوراً وظلالاً وتتكون من هذه الصور الجزئية
لوحة كاملة متناسقة تهزُّ الوجدان وتترك في القلوب أعمق الأثر.

لذلك جعـــل أبو هلال العسكري الوقوف على إعجاز القرآن مرهوناً بعلم البلاغة فقال: "إن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخلَّ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّ الله به كتابه من حسن التأليف وبراعة التراكيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع،

---

(1) نصوص من القرآن الكريم - د.عبد القادر حسين - ص ٩٠ - مكتبة الجامعة - قطر - ١٩٨٧م.

والاختصار اللطيف ، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها ؛ لأن البلاغة تعتبر من أهم وسائل إدراك الإعجاز القرآني ، وذلك بأن يتمكن البليغ منها ، ويتقن ويفهم أساليبها وفنونها " [١].

حتى نفهم هـذا التعبير القرآني الذي يظل جارياً على نسق واحد في السموِّ من جمال اللفظ ، وعمق المعنى ، ودقة الصياغة ، وروعة التعبير ، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من تشريع، وقصص ، وأخبار غيبية ، ومواعظ ، علماً بأنه خاطب كل الناس على اختلاف مداركهم وثقافتهم ، وعلى تباعد أزمنتهم ، وتطور علومهم. فالقرآن كله متناسق فيما بينه تناسقاً كاملاً في حروفه وكلماته وآياته وسوره ، ونحن إذ نقف أمام آية من كتاب الله أظهرت لنا هذا البيان الرائع، وهذه البلاغة المتميزة ، إنها أبلغ آية في كتاب الله ، إنها قوله تعالى: **[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]** [٢].

يقول ابن أبي الأصبع المصري: "ما رأيتُ ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآيةٍ من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع ، وعددها سبع عشرة لفظة" [٣].

ويكشف السكاكي عن بلاغة الآية بقوله: "فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين المعنوية واللفظية ما عسى يسترها عنك ، ثم إن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك مَنْ تُحدُوا بها" ثم قال: "والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ، ومن جهة
علم الفصاحة المعنوية واللفظية" [٤].

ويظهر العلوي ما في الآية من سلاسة ورقة وتناسق بين مفرداتها حيث يقول: "فانظر إلى مفردات هذه الآية ما أسلسها ، وأرقها ، وألطفها ، ثم في تأليفها ما أسهله على اللسان ، ثم انظر

(1) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص ١٦٧ ، تحقيق محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٧١م.

(2) هود: آية ٤٤.

(3) بديع القرآن – ابن أبي الأصبع المصري – ص ٣٤٠ – تحقيق حفني محمد شرف – نهضة مصر للطباعة – ط٢ – ١٩٥٧م.

(4) مفتاح العلوم – السكاكي – ص ١٩٧ – ضبط وتعليق محمد نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ١٩٨٣م.

إلى مفردات ألفاظها ما أغربها وأجراها على الألسنة من غير صعوبةٍ ولا عُسرةٍ ، ثم انظر إلى تأليف مفرداتها كيف طابقت الغرض المقصود منها وسيقت على أتم سياقٍ وأعجبه" (١).

وقد أظهر كل من الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان كلاماً حكيماً حول هذه الآية أظهرا فيه عدداً من المعاني والإشارات البلاغية التي تضمنتها هذه الآية فقالا: "الآية أمر فيها ونهي ، وأخبر ونادى ، ونعت وسمَّى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، وقصَّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي" (٢).

يقول الإمام أبو السعود: "ولقد بلغت الآية الكريمة في مراتب الإعجاز قاصيتها ، وملكت من غرر المزايا ناصيتها ، وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ، ولعمري إن ذلك فوق ما يصفه الواصفون ، فحري بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الأمر إلى تأول أولى الألباب ، والله عنده علم الكتاب" (٣).

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن القرآن يتميز بجودة السبك وإحكام السرد ويتجلى واضحاً في هذه الآية حيث بلغت من ترابط أجزائها ، وتماسك كلماتها مبلغاً لا يدانيه فيه أيُّ كلام آخر ، وأن قدرة البشر تعجز عن الإتيان بمثلها ، وقد اتفق العلماء على أن هذه الآية من أعظم شواهد البيان القرآني المعجز ؛ لأن فيها أحداً وعشرين ضرباً من البديع ، بل ويزيد عن ذلك ، وعددها سبع عشرة لفظة موزعة على علوم البلاغة الثلاث: المعاني والبيان والبديع ، وهذا ما سيظهر في هذا البحث.

١ - التقديم والتأخير:

وهو من قدم: أي: وضعه أمام غيره ، والتأخير: نقيض ذلك (٤).

---

(1) الطراز – العلوي – ج٢ – ص ٥٠٦ – تدقيق محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٥م.

(2) البرهان في علوم القرآن – الزركشي – ج٣ – ص ٢٦٦ – تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر عطا – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٩٨٨م ، والإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ج٣ – ص ١٦٥ – تحقيق محمد أبو الفضل – مكتبة دار التراث – القاهرة.

(3) تفسير أبي السعود – ج٣ – ص ٣٦ - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٩م.

(4) لسان العرب – ابن منظور – مادة "قدم وأخر".

وقال الزركشي: "هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق" [١].

وإن الألفاظ في اللغة قوالب للمعاني ، فيجب أن ترتب ترتيباً وضعياً بحسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قد يعرض لبعض الكـلام من المزايا ما يدعو لتقديمه ، وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن التقديم ليكون مشيراً إلى الغرض الذي يراد" [٢] ، وقد بلغ القرآن الكريم في التقديم الدرجات العلا ، فوضع الكلمة في الوضع الذي تستحقه في التعبير فتحدث توافقاً وتناسقاً في السياق من حولها ولا يصلح مكانها غيرها. وقد أشار السكاكي إلى حسن الترتيب وبراعة التقديم في الآية فقال: "وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل ، فذاك أنه قد قدم النداء على الأمر ، فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي دون أن يقال: ابلعي يا أرض ، وأقلعي يا سماء" جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدَّم أمر الأرض على أمر السماء ، وابتدئ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة الأصل" ، ثم قال: "ألا ترى أصل الكلام: قيل يا أرض إبلعي ماءَك فبلغت ماءَها – ويا سماء أقلعي – عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله ، وغيض الماء النازل من السماء فغاض ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله (وقضي الأمر) أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة" [٣] ، وقال بعض العلماء: أنه قدم الأمر التكويني بالبلع عن الإمساك ؛ لأن البلع هو السبب الأهم والأعظم من غيض الماء ونقصانه" [٤].

٢ - الإيجاز:

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح ، وقد شمل الخطيـب القزويني طـرق التعبيـر عـن المعنى بقوله: "أن المقبول من طرق التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له أو ناقصٍ عنه وافٍ ، أو زائدٍ عليه لفائدة" [٥].

(1) البرهان في علوم القرآن – الزركشي– ج٣ – ص ٢٢٣.

(2) علوم البلاغة– المراغي – ص ٩٢ – دار الكتب العلمية – بيروت.

(3) مفتاح العلوم– السكاكي – ص ١٩٨ – المكتبة العلمية – بيروت.

(4) معاني القرآن – إبراهيم عبد الله ارفيدة وآخرون – ج٢– ص ١٦٤ – جمعية الدعوة الإسلامية – طـرابلس– ط١– ١٩٨٩م.

(5) الإيضاح – القزويني – تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي – ص ٢٨١ – دار الكتب اللبناني – ط٤ – ١٩٧٥م.

وقد عبرت هذه الآية بألفاظها المحدودة عن معانٍ كثيرة ، فإن الله سبحانه وتعالى أمر فيها ونهى ، وأخبر ونادى ، ونعت وسمَّى ، وأهلك وأبقى ، وأسعد وأشقى ، وقصَّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام ، وانحسرت الأيدي" [١].

ولو أردنا أن نذكر بعض جوانب الإيجاز في الآية فلنبدأ مع الآية من بدايتها: **(قيل يا أرض)** ولم يقل: قال الله يا أرض ، ولم يقل: يا أيتها الأرض لقصد الاختصار ، وقال: "غيْض" ولم يقل: "غيَّض" المشدد لكونه أخطر [٢].

وقال: "غيْض الماء" ولم يقل: ماء الطوفان ، وقال: "وقُضي الأمرُ" دون أن يقال: "وقضي أمر نوح" وهو إنجاز ما كان الله وعد نوحاً في إهلاك قومه لقصد الاختصار ثم قال: "بعداً للقوم" دون أن يقال: "ليبعد القوم" طلباً للتأكيد مع الاختصار وهو نزول "بعداً" منزلة "ليبعدوا بعداً" [٣].

٣- دلالة "فعل الأمر":

الأمر هو: طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، فينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر [٤] ، وقد عبر عن هذا المعنى العلوي في كتابه الطراز فقال: "هو صيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء" [٥] ، فجاء الأمر في الآية إلى الأرض وإلى السماء فقال: "ابلعي وأقلعي" وقد وقع الفعل وأحكم الله الأمر وفرغ منه بإهلاك قوم نوح ، وإنجاز ما وعد به نبيه نوحاً u في نجاته ومن معه من المؤمنين" [٦] لأنه أمر الملك الذي لا يخرج عن مراده شيء.

٤- المبني للمجهول ودلالته البلاغية:

استخدم القرآن الفعل المبني للمجهول فقال: "غيضَ الماءَ وقُضِيَ الأمر" للدلالة على أنه لم يُفضِ إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم يؤكد ذلك ويقرره بقوله: وقضي الأمر ، ثم ذكر فائدة هذا

---

(1) البرهان في علوم القرآن – الزركشي – ج٣ – ص ٢٦٦.
(2) مفتاح العلوم– السكاكي– ص ١٩٨.
(3) مفتاح العلوم– السكاكي– ص ١٩٨ بتصرف.
(4) معجم المصطلحات البلاغية – أحمد مطلوب – ج١ – ص ٣١٣ – مطبعة المجمع العلمي العراقي– ١٩٨٦م.
(5)الطراز– العلوي – ج٣ – ص ٢٨١ – دار الكتب العلمية – بيروت.
(6) معاني القرآن – إبراهيم ارفيدة – ج٢ – ص ٢٦٩.

الأمر وهو "واستوت على الجودي" ، وجعل الزمخشري فائدة ذلك "للدلالة على الجلالة والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكوّن قاهر" [١].

ولذلك لما استمع العرب الذين أرادوا الإتيان بمثل القرآن إلى هذه الآية امتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً وانفضوا مسرعين وكسروا أقلامهم ومزقوا صحفهم وقالوا: ما لنا وهذا الكلام ، وأيقنوا لما استمعوا إلى المبني للمجهول أن هناك قوة خفية تتحكم في هذا الكون.

٥ - النداء:

النداء هو: طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء.

ومن هذه الأحرف: الهمزة وأي ، وهما لنداء القريب ، ويا وأيا ووا ، وهي لنداء البعيد ، وأما "يا" فهي أكثر أدوات النداء استعمالاً ومنها "هيا وآ وأي" وهي أقل الأدوات استعمالاً.

وقد استخدم في الآية القرآنية حرف النداء "يا" في قوله: "يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي" لكونها أكثر في الاستعمال وأنها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة وإبداء شأن العزة والجبروت" [٢].

ثم جاء نداء الأرض والسماء بما ينادي به المميز العاقل ، وأمره بما يؤمر به أهل التمييز والعقل ، وفيه دلالة على أن هذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيما يشاء وكأنهم عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وقدرته ، وأدركوا تحتم طاعته عليهم.

"فإذا شعر العقل بوجود موجود قاهر لهذه الأجسام مستولٍ عليها ، متصرف بها كيف شاء وأراد ، صار ذلك سبباً لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله وعلو قهره وجمال قدرته ومشيئته" [٣].

٦ - الاستعارة:

الاستعارة: مشتقة من العارية ، وهي: نقل الشيء من شخص إلى آخر ، وعند البلاغيين: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الذي نقلت إليه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. ويعجبني هنا قول العسكري في الصناعتين معرفاً الاستعارة بأنها: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه ،

---

(1) الكشاف– الزمخشري – ج٢ ص ٢٧١– دار الفكر للطباعة– بيروت.

(2) مفتاح العلوم– السكاكي – ص ١٩٨.

(3) التفسير الكبير– الفخر الرازي – ج١٧– ص ٢٣٤– دار الكتب العلمية– بيروت– ط٢.

وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً" (١).

وقد وقعت الاستعارة في الآية القرآنية في أكثر من موضع ، فمن الاستعارة المكنية نداء الأرض والسماء كما ينادي العاقل وأمرها ، كما يؤمر الإنسان العاقل بعملٍ يعمله فينفذه امتثالاً لأمر الله فقال: **(يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي)**.

فكأن الأرض والسماء "عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه" (٢).

وقد أظهر الإمام الجرجاني عظمة هذا التعبير بقوله: "ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أُمرت ، ثم في أن كان النداء "بيا" دون "أي" نحو يا أيتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى "الكاف" دون أن يقال: "ابلعي الماء" ثم أن أُتْبعَ نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها ، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل: "وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالة على أنه لم يَفِضْ إلا بأمر آمرٍ وقدرةِ قادر" (٣).

ومن دقائق الاستعارة قوله: "إبلعي – أقلعي" حيث "استعارة لغؤر الماء في الأرض "البلع" الذي هو إعمال الجاذبة في المطعم للشبه بينهما ، وهو الذهاب إلى مقر خفي ، ثم استعارة الماء للغذاء استعارة بالكناية ، تشبيهاً له بالغذاء لتقوِّي الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار ، تقوِّي الآكلْ بالطعام ، وجعل قرينة الاستعارة لفظة إبلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره ، وخاطب في الأمر ترشحاً لاستعارة النداء ، ثم قال: "ماءَك" بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز ، تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك ، واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح ، ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، ثم أمر على سبيل الاستعارة وخاطب في الأمر قائلاً: "أقلعي" لمثل ما تقدم في "ابلعي" (٤).

---

(1) الصناعتين – العسكري – ص ٢٧٤.

(2) دلائل الإعجاز – الجرجاني – ص ٤٥ – تحقيق: محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٤م.

(3) مفتاح العلوم – السكاكي – ص ١٩٧.

(4) مفتاح العلوم – السكاكي – ص ١٩٧.

ولقد نقل القزويني كلَّ ما ذكره السكاكي في نهاية حديثه عن الاستعارة [١] ، وقال الإمام الشوكاني: "واستعير البلع الذي هو من فعل الحيوان للنشف دلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد الكائن على سبيل التدريج" [٢].

ويرى محي الدين الدرويش أن الاستعارة المكنية كائنة في نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز... ثم أمرها بما يؤمر به أهل التمييز والعقل في قوله: "إبلعي ماءك" و"أقلعي"... والبلع عبارة عن تغذير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى ، من بلع الحيوان... والبلع هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي ، ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء ، أي: الماء للغذاء لجامع "تقوي الأرض بالماء في الإنبات كتقوى الآكل بالطعام" [٣] ، وهو بهذا يكرر لنا ما ذكره السكاكي في المفتاح.

٧- **الكناية**:

وهي أن تتكلم بالشيء وتريد غيره ، يقال: كنى عن الأمر بغيره ، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه [٤].

وعرفها أبو عبيدة بانها: "ما فهم في سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة"[٥] ، وعرفها الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه" [٦].

وهذا ما أشار إليه في الآية القرآنية حيث لم يشر إلى صاحب النداء ولا إلى من أغاض الماء فقال: "ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت... ثم أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها نداء السماء وأمرها... ثم أن قيل وغيض الماء فجاء الفعل على صيغة "فُعل" الدالة

(1) الإيضاح– القزويني– ص ٤٧٠.
(2) فتح القدير– الشوكاني– ج٢– ص ٦٣٠.
(3) إعراب القرآن الكريم – محيي الدين الدرويش– ج١٢– ص ٤٣٤.
(4) لسان العرب – ابن منظور – مادة "كنى".
(5) مجاز القرآن – أبو عبيدة – ج١ – ص ٢٨٠ –علق عليه: د. محمد فؤاد سزكين– مكتبة الخانجي– القاهرة – ١٩٥٤م.
(6) دلائل الإعجاز – الجرجاني– ص ٦٦.

على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر... ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن" [1].

وذكر السكاكي الكناية بلفظها في هذه الآية فقال: "فلم يصرح بمن غاض الماء ، ولا بمن قضى الأمر وسوَّى السفينة ، وقال بعداً ، كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء في صدر الآية سلوكاً في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية ، أن تلك الأمور العظام لا تأتي إلا من ذي قدرة لا يكتنه ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائل يا أرض ويا سماء ، ولا غائض مثل ما غاض ولا قاضٍ مثل ذلك الأمر الهائل ، أو أن تكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره وإقراره" [2] ، وبهذا يبين أن الكناية ضد التصريح وأبلغ منه.

٨ - التعريض:

التعريض ضد التصريح ، وهو: "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به" [3] ، وهو ما استعملته العرب واستحسنته في كلامها ، فتبلغ مرادها بوجه ألطف وأحسن في الكشف والتصريح ، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه ، ويقولون فلان لا يحسن التعريض ، وقد استعمله القرآن الكريم في هذه الآية بقوله: "وقيل بعداً للقوم الظالمين" ، فقد ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم لا غير ، خَتْمَ إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه ، وأن قيمة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا لظلمهم" [4] ، لذلك اعتبرها العلماء من الكلمات التي تختص بدعاء السوء ، ووصفهم بالظلم للإشعار بأنه علة الهلاك" [5] ، وسماه أبو السعود بالتعريض ، وهذا واضح في قوله: "وتعرض لوصفهم بالظلم للإشعار بغلبته للهلاك ، ولتذكيره بما سبق في قوله تعالى: [... **وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**] {هود:٣٧} [6].

٩ - الطباق:

وهو الجمع بين المتضادين أو الجمع بين الشيء وضده ، وهو من المحسنات البديعية ، وقد طابق في الآية بين الأرض والسماء.

---

(1) مفتاح العلوم- السكاكي- ص ١٩٨.
(2) مفتاح العلوم- السكاكي- ص ١٩٨.
(3) الطراز- العلوي -ط١- ص ٣٨٠.
(4) مفتاح العلوم - السكاكي - ص ١٩٨.
(5) فتح القدير- الشوكاني - ج٢ - ص ٥٦٨.
(6) تفسير أبي السعود - ج٣ - ص ٣٦.

١٠- الإشارة:

وهي أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه [١] ، وهو إشارة المتكلم إلى معانٍ كثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره ، بإشارة اليد فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً ، وهذا واضح في قوله: "وغيض الماء" فإنه عبر به عن معانٍ كثيرة ، فإن الماء لا يغيض حتى يقطع مطر السماء ، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.

١١- المناسبة التامة:

وهي على ضربين ، مناسبة في المعنى ، ومناسبة في اللفظ ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، وهو كثير في كتاب الله ، والمناسبة اللفظية: توخي الإتيان بكلمات متزنات [٢] ، والمناسبة التامة واضحة بين "ابلعي وأقلعي" ، وذكر بعض العلماء أن قوله: "وقيل بعداً للقوم الظالمين" القائل هو الله ليناسب صدر الآية وهو قوله: "يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي" [٣].

١٢- المقابلة:

وهي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما على الترتيب" [٤] ، وفي الآية قابل بين "يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي" ، فالأرض مقابل السماء ، وابلعي مقابل أقلعي.

١٣- التعليل:

وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدِّم قبل ذكره علة وقوعه ، لكون رتبة العلة أن تُقدَّم على المعلول" [٥] ، فقوله: غيض الماء" علة الاستواء ، فما كان للسفينة أن تستقر على الجودي إلا بعد أن يغيض الماء وتفرغ الأرض منه.

---

(1) تحرير التحبير – ابن أبي الأصبع المصري– ص ٢٠٠ ، تحقيق: حفني محمد شرف – القاهرة – ١٩٦٣م.

(2) حسن التوسل إلى صناعة الترسل– شهاب الدين الحلبي– ص ٢٨٨ – تحقيق: أكرم عثمان يوسف – وزارة الثقافة – العراق – ١٩٨٠م.

(3) فتح القدير بتصرف – الشوكاني - ج٢ – ص ٢٦٨.

(4) البرهان في علوم القرآن – الزركشي– ج٣ – ص ١٤٤.

(5) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري– ص ٣٠٩.

١٤- التمثيل:

وهو أن يريد المتكلمُ معنى فلا يدل عليه بلفظة الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصلح أن يكون مثالاً للفظ المعنى المراد مثل قوله تعالى: "وقضي الأمر" وحقيقة هذا: أي هلك من قُضِيَ هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن اللفظ الخاص إلى لفظ التمثيل لأمرين:

أحدهما: اختصار أمر اللفظ.

والثاني: كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعي آمراً ، وقضاؤه يدل على قدرة الآمر وطاعة المأمور ولا يحصل ذلك في اللفظ الخاص" (١).

وكذلك التمثيل في قوله: واستوت على الجودي فإن حقيقة ذلك: وجلست على ذلك المكان ، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ولا حركة ولا اضطراب.

١٥- الانسجام:

وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم سهولة سبكٍ ، وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقعٌ في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره" (٢) ، وهذا يقتضي تحديد الكلمات بسهولة وعذوبة مع الجزالة التي يقتضيها المقام ويتطلبها مقتضى الحال ، وألفاظ الآية منسجمة فيما بينها كالماء الجاري في سلاسته ، وقد أظهر الإمام الجرجاني حقيقة الانسجام في هذه الآية فقال: "إذا فكرت في قوله تعالى: **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك...)** فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمرٍ يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها وأن الفضل تَنَاتَجَ ما بينها وحصل من مجموعها (٣).

---

(1) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري– ص ٢١٤.

(2) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري– ص ٤٢٩.

(3) دلائل الإعجاز– عبد القاهر الجرجاني– ص ٤٥.

١٦- التقسيم:

ويطلق على أمرين **أحدهمـــا**: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها ، **والثاني**: استيفاء أقسام الشيء بالذكر" (١).

والتقسيم في الآية من النوع الثاني حيـــث استوفى أقسام الماء حال نقصه فقال: **(يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء)** فلولا ابتلاع الأرض للماء وإقلاع السماء عن المطر لما غاض الماء.

١٧- ائتلاف اللفظ مع المعنى:

وهي "أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضه بعضاً ، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها" (٢) ، ومنه قوله تعالى: **(واستوت على الجودي)** فقد آثر الاستواء على غيره ، ولم يقل "رست أو استقرت" لأن الاستواء يدل على معنى لا يدل عليه لفظ من نظير المذكورين(٣)، وهذا يدل على أن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها ولا يقوم مقامها غيرها.

١٨- الإبداع:

وهو: أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام وما يعطيه معناها (٤) ، فإذا اشتمل الكلام على عدد من فنون البديع كان إبداعاً ، ومنه قوله تعالى: **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك...)** ، ويرى ابن أبي الأصبع المصري "أن يأتي في البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديـــع بحسب عدد كلماته أو جمله ، وحتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع" (٥) ، ثم يقول: "وما رأيت فيها واستقريت من الكلام كآية استخرجت منها واحداً وعشرين ضرباً من المحاسن وهي قوله تعالى: **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك...)** (٦) ، ويعقب الهاشي على ذلك قائلاً: "وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتأليف

(1) الإيضاح – القزويني – ص ٥٠٩.

(2) بديع القرآن– ابن أبي الأصبع المصري– ص ٧٧ – تحقيق: حفني محمد شـــرف– نهـــضة مـــصر – ط٢ – ١٩٥٧م.

(3) خصائص التعبير القرآني– عبد العظيم المطغي – ط١– ص ٢٦١ – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ – ١٩٩٣م.

(4) بديع القرآن – ابن أبي الأصبع المصري – ص ٢٤٠.

(5) حسن التوسل إلى صناعة الترسل – شهاب الدين الحلبي– ص ٢١٣.

(6) حسن التوسل – شهاب الدين الحلبي – ص ٢١٤.

لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدَّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعاً ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها" (١).

١٩ - الإرداف:

وهو: أن يريد المتكلم معنى فلا يعبِّر عنه بلفظه الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه ، أي: قريب من لفظه قُرْبَ الرَّديف من الردف مثل قوله تعالى: **(واستوت على الجودي)** فإن حقيقة ذلك: وجلست على هذا المكان ، فعدل عن لفظ المعنى الخاص به إلى لفظ هو رِدْفه ، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ، وهذا لا يحصل من قولك: جلست أو قعدت ، والأخبار ينفي الأسباب الموجبة خوف أهل السفينة في حالتي حركتها وسكونها ، وذلك لا يحصل حتى يفهم السامع أنها جلست جلوساً متمكناً لا ميل فيه يوجب الخوف ولا يحصل إلا بلفظ الاستواء دون غيره" (٢).

ويرى السيوطي "أن الإرداف يشبه الكناية حيث يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بدلالة الإشارة ، بل بلفظ يرادفه ، ومنه قوله تعالى: **(وقضي الأمر)** أي هلك من قضى هلاكه ، ونجا من قضى الله نجاته ، وعدل عن لفظ ذلك إلى الإرداف لما فيه من الإيجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ، ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع وقضاء من لا يُرَدُّ قضاؤه" (٣).

والأمر يستلزم آمراً ، وقضاؤه يدل على قدرة الآمر له ، وطاعة المأمور تدل على قدرة الآمر وقهره ، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الآمر ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص (٤).

وهذا قريب من التمثيل الذي تقدم ذكره إلا أن التمثيل يعتبر اللفظ الذي جئ به للدلالة على المعنى الذي يريده المتكلم هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً ، بل يصلح أن يكون مثالاً للفظ المعنى المراد.

---

(1) جواهر البلاغة – أحمد الهاشمي– ص ٣١٩ – المكتبة العصرية – بيروت – ط١ – ١٩٩٩م.

(2) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري – ص ٢٠٧.

(3) الإتقان في علوم القرآن– السيوطي– ج٣ – ص ١٤٦.

(4) إعراب القرآن الكريم– محيي الدين الدرويش– ج٤ – ص ٣٦٠.

٢٠ - الاحتراس:

وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجَّه عليه ، فيه دَخَلٌ ، فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك(1)، ومن الاحتراس قوله تعالى: **(وقيل بعداً للقوم الظالمين)** فإنه تعالى لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه الدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق العذاب ، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم عُلِمَ استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم ، وظهر بذلك صدق وعده لنبيه نوح **u** ، وأعلمنا أنه قد أنجز وعده الذي قال فيه: [... **وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**](2).

٢١ - حسن النسق:

وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، لا معيباً مستهجناً ، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أُفرد قام بنفسه واستقل معناه بلفظه ، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما ونقص كمالهما ، وتقسّم معناهما وهما ليسا كذلك ، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كمالهما مع الالتئام والاجتماع" (3)، ومن شواهد هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى:[**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**]{هود:٤٤}، فأنت ترى إثبات هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لأنه سبحانه بدأ بالأهم، إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ، ولا يتهيأ ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض ، فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالابتلاع ، وإذا ابتلعت الأرض ما عليها من الماء ولم تنقطع مادة الماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها ، وربما كان ما ينزل من السماء مخلفاً لما تبتلعه الأرض فلا يحصل الانحسار، فأمر سبحانه السماء بالإقلاع بعد أمره الأرض بالابتلاع ، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ما على الأرض وانقطعت مادة السماء ، وذلك يقتضي أن يكون ثالث الجملتين المتقدمتين ، ثم قال سبحانه: **(وقضي الأمر)** أي هلك مَنْ قدر هلاكه ، ونجا من قُضيت نجاته ، وهذا كُنْه الآية وحقيقة المعجزة ، ولا بد وأن تكون معلومة لأهل السفينة ، ولا يمكن

(1) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري – ص ٤٢٥.

(2) سورة هود: آية ٣٧.

(3) تحرير التحبير – ابن أبي الأصبع المصري – ص ٤٢٥.

علمهم بها إلا بعد خروجهم منها ، وخروجهم منها موقوف على ما تقدم ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل ، وكذلك استواء السفينة على الجودي ، أي استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها ، وذلك يقتضي أن يكون بعد ما ذكرنا ، وقوله سبحانه: **(وقيل بعداً للقوم الظالمين)** هذا دعاءٌ أوجبه الاحتراس فمن يظن أن الهلاك ربما يشمل من لا يستحق ، فدعا سبحانه على الهالكين ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال ، وذلك يقتضي أن يكون بعد كل ما تقدم ، والله أعلم ، فانظر إلى حسن هذا النسق ، وكيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء (١).

٢٢- رد العجز على الصدر:

وهو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بها في أول الفقرة والآخر في آخرها ، كقوله تعالى: [... **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**...] (٢) ، وهو على ضروب منها: أن يكــون الصدر والعجز متفقين في الصورة (٣) ، ومن هذا القبيل قوله تعالى: **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك)** فإنها تمثل صدر هذه الآية ، ثم ختم بما يتوافق مع الصدر فقال: **(وقيل بعداً للقوم الظالمين)** فالقائل هو الله سبحانه ، ولكنه جاء بالمبني للمجهول ليناسب صدر الآية.

ومن جهة ثانيــة فقــد جــاء قوله: **(وقيل بعداً للقوم الظالمين)** مناسباً ومتوافقاً مع ما تقدم من قوله تعالى: **(ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)** ليعلم أن القوم الذين هلكوا في الطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح فهم مستحقون للعقاب ، لئلا يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك فأخبر الله سبحانه أن الهالكين هم الذين تقــدم ذكرهــم وهــم الذيــن وصفهم بالظلم ووعد نبيه بإغراقهم ونهاه عن مخاطبته فيهم.

٢٣- الجناس:

وهو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى ، ومنه:

الجناس التام: وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وعددها وهيآتها وترتيبها.

والجناس الناقص: وهو أن يختلف اللفظان في أنواع الحروف وعددها وهيآتها وترتيبها.

---

(1) تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري – ص ٤٢٦.

(2) سورة الأحزاب: آية ٣٧.

(3) البلاغة العربية – محمد مطلوب – ص ٢٦٩ – ط١– ١٩٨٠– العراق.

والجناس الموجود في هذه الآية من الجناس الناقص ، والمتعلق باختلاف اللفظين في أنواع الحروف ، وهذا واضح بين "ابلعي واقلعي" وهو من الجناس اللاحق ، ويكون فيه الحرفان مختلفين في المخرج "فالباء والقاف" بينهما تباعد واضح في المخرج (١).

ويذكر محيي الدين الدرويش أن البعض يسميه بالجناس المضارع (٢) ، وهذا خطأ لأن المضارع في المخرج بين الحرفين كقوله تعالى: [**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**...] (٣) ، فالهمزة والهاء بينهما تقارب في المخرج وهما من الحروف الحلقية.

٢٤- إذا تأملنا عدد كلمات الآية وجدناها (سبع عشرة كلمة) وإذا تأملنا عدد ركعات الصلاة المفروضة وجدناها (سبع عشرة ركعة).

أقول: إنه ليس من قبيل الصدفة أن يتوافق عدد كلمات الآية مع عدد ركعات الصلاة المفروضة ، وليس من قبيل الصدفة أن يجعلها العلماء أبلغ آية في كتاب الله ، فكل كلمة في الآية يقابلها ركعة من ركعات الصلاة المكتوبة ، فمن حافظ عليها نجا من عذاب الله ، ولم يُدرج ضمن الظالمين ، ومن ضيعها ولم يحافظ عليها وهي الركن الأهم في الإسلام ، فقد هلك وظلم نفسه ، وأدرج ضمن الظالمين الذين استحقوا عذاب الله وغضبه ، فاستحقوا الدعاء عليهم بدعاء السوء ووصفهم بالظلم (**وقيل بعداً للقوم الظالمين**).

الخاتمة:

بعد هذا العرض لعدد من الوجوه البلاغية في هذه الآية الكريمة اتضح لنا سبب اتفاق العلماء على أن هذه الآية من أعظم شواهد البيان القرآني المعجز كما وأنها بالغة من الفصاحة والبلاغة إلى حدٍّ يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين الأقدام في علم البيان ، الراسخين في علم اللغة، إنه كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنه القرآن الكريم.

(1) انظر بتصرف من بلاغة القرآن (المعاني – البيان – البديع) أ.د. نعمان علوان – أ.د. محمد علوان – الطبعة الثالثة – ٢٠٠٥م.

(2) إعراب القرآن الكريم – محيي الدين الدرويش – ج٤ – ص ٣٦٦.

(3) سورة الأنعام: آية ٢٦.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن– السيوطي– تحقيق محمد أبو الفضل– مكتبة دار التراث- القاهرة.

٢- إعراب القرآن الكريم– محيي الدين الدرويش – دار الإرشاد – سوريا– ط٤- ١٩٩٤م.

٣- الإيضاح– القزوين– تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي– دار الكتاب اللبناني– ط٤ - ١٩٧٥م.

٤- بديع القرآن– ابن أبي الأصبع المصري– تحقيق حفني محمد شرف– نهضة مصر– ط٢- ١٩٥٧م.

٥- البرهان في علوم القرآن– الزركشي– تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر عطا – دار الفكر– بيروت– ط٢- ١٩٨٨م.

٦- البلاغة العربية– أحمد مطلوب– ط١ ، العراق ، ١٩٨٠م.

٧- تحرير التحبير– ابن أبي الأصبع المصري – تحقيق حفني محمد شرف– القاهرة- ١٩٦٠ .

٨- تفسير أبي السعود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ١٩٩٩م.

٩- تفسير فتح القدير– الشوكاني– دار المعرفة– بيروت.

١٠- التفسير الكبير– الرازي– دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢.

١١- تفسير الكشاف– الزمخشري– دار الفكر للطباعة - بيروت.

١٢- جواهر البلاغة– أحمد الهاشمي– المكتبة العصرية– بيروت – ط١- ١٩٩٩م.

١٣- حسن التوسل إلى صناعة الترسل – شهاب الدين الحلبي– تحقيق أكرم عثمان يوسف – وزارة الثقافة – العراق - ١٩٨٠م.

١٤- خصائص التعبير القرآني– عبد العظيم المطعني– مكتبة وهبة– القاهرة – ط١– ١٩٩٢م.

١٥- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – مكتبة الخافجي – القاهرة – ١٩٨٤م.

١٦- الصناعتين – العسكري – تحقيق محمد علي البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى الحلبي – ١٩٧١م.

١٧- الطراز– العلوي– تدقيق محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٩٩٥م.

١٨- علوم البلاغة– المراغي– دار الكتب العلمية – بيروت.

١٩- لسان العرب– ابن منظور – دار المعارف.

٢٠- مجاز القرآن–أبو عبيدة– تعليق محمد فؤاد سزكين – مكتبة الخافجي – القاهرة – ١٩٥٤م.
٢١- معاني القرآن – إبراهيم عبد الله أرفيدة – جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس – ط١ – ١٩٨٩م.
٢٢- معجم المصطلحات البلاغية – أحمد مطلوب – مطبعة المجمع العلمي العراقي – ١٩٨٦م.
٢٣- مفتاح العلوم – السكاكي – تعليق محمد نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ١٩٨٣م.
٢٤- من بلاغة القرآن (المعاني – البيان – البديع) – أ.د.محمد علوان – أ.د.نعمان علوان – ط٣ – ٢٠٠٥م.
٢٥- نصـــوص من القرآن الكريم – د.عبد القادر حسين – مكتبة الجامعة – قطر – ١٩٨٧م.